Abhat Journal, Volume. 17, Issue. 1, March 2025

Abhat Journal, Faculty of Arts, Sirte University مجلة أبحاث بكلية الآداب جامعة سرت
Source Homepage: http://journal.su.edu.ly/index.php/ABHAT/index
DOI: https://doi.org/ 10.37375/aj.v17i1.3240

المقال الاجتماعي عند محمد أحمد محجوب: دراسة وصفية أسلوبية مقال "في الاجتماع والسياسة" نموذجًا

د. الوليد عبد الرؤوف المنشاوي
eaminshawi@uqu.edu.sa
قسم اللغة العربية/ الكلية الجامعية بالجموم
جامعة أم القرى/ السعودية

الملخّص:

شهد السودان خلال النصف الأول من القرن العشرين ظروفًا سياسية مأساوية ألقت بظلالها على مختلف جوانب الحياة، فاختلت الموازين، وتدهورت القيم، وتراجعت الأوضاع الاجتماعية، وتفاقمت المشكلات المجتمعية، مما أثار حالة من القلق لدى المفكرين والكتّاب. من بين هؤلاء كان محمد أحمد محجوب، الذي كرّس فكره وقلمه للتعبير عن قضايا مجتمعه، ومصير بلاده؛ فكتب سلسلة مقالات تناولت أوضاع البلاد وما آلت إليه، نُشِرت في الصحف والمجلات السودانية التي كانت تصدر آنذاك. تركّز هذه الدراسة على مقال محجوب الذي حمل عنوان "في الاجتماع والسياسة" ونُشِر في مجلة الفجر السودانية عام ألف وتسعمائة وأربعة وثلاثين، وهو الثالث في سلسلة مقالات عرض خلالها الكاتب رؤيته حول ملامح الحياة السودانية المستقبلية، وما ينبغي أن تكون عليه لتواكب تحديات الزمن وتحقق تطلعات الوطن وأبنائه.

الكلمات المفتاحية:

المقال، الاجتماع، المقال الاجتماعي، السياسة، محمد أحمد محجوب.

The Social Essay in Muhammad Ahmad Mahgoub's Writings: A Descriptive Stylistic Study: An Analysis of the Article "On Society and Politics"

Elwaleed Elminshawi
eaminshawi@uqu.edu.sa
Department of Arabic Language
Al-Jamoum University College
Umm Al-Qura University/ Saudia Arabia

Abstract:

During the first half of the twentieth century, Sudan experienced severe political turmoil that significantly impacted various aspects of life. This period witnessed a disruption of social balance, a decline in moral values, deteriorating social conditions, and escalating societal challenges. These circumstances raised deep concerns among intellectuals and writers, prompting them to engage in critical discourse. Among these figures was Muhammad Ahmad Mahgoub, who dedicated his intellectual efforts and literary work to addressing the pressing issues of his society and the fate of his nation. He authored a series of essays analyzing Sudan's socio-political landscape, which were published in Sudanese newspapers and magazines of the time.

This study focuses on Mahgoub's article "On Society and Politics," published in Al-Fajr magazine in 1934. It represents the third in a series of essays where the author articulated his vision for Sudan's future, outlining the essential transformations required for the nation to adapt to contemporary challenges and fulfill the aspirations of its people.

Keywords:

Essay, society, social essay, politics, Muhammad Ahmad Mahgoub.

مقدمة:

يلعب المقال دورًا مهمًا في التعبير عن الواقع الاجتماعي، بما يمتلك من قدرة على تصوير القضايا والمشكلات التي تطرأ على المجتمع، والسعي لمعالجتها وتعديلها وإيجاد الحلول المناسبة لها. جاءت هذه الدراسة للتأكيد على هذا الدور المهم، ولتسلط الضوء على إسهامات الكاتب السوداني محمد أحمد محجوب في هذا المجال.

حقق محمد أحمد محجوب مكانة رفيعة كأديب ومفكر مُتميّز، ونشر كثيرًا من المقالات في الصحف والمجلات السودانية التي عاصرها، ومع ذلك فإن الباحث لم يقف على دراسة مستقلة تناولت المقال موضوع هذا البحث. لذا، تستمد هذه الدراسة أهميتها من كونها إضافة جديدة في مجالها، حيث تسعى إلى ملء الفراغ في هذا الجانب. وعلاوة على ذلك، فإن مقالات محجوب تمثل مادة تستحق التوقف عندها بالبحث العميق والتحليل الدقيق والدراسة المنهجية.

تهدف الدراسة إلى تقديم تحليل وصفي وأسلوبي لمقال "في الاجتماع والسياسة" مع التعريف بشخصية محمد أحمد محجوب وإبراز جانب من إسهاماته الفكرية والأدبية التي كان لها دور في تشكيل ملامح الحياة السودانية.

ركّز الباحث على تحليل محتوى المقال، واستخدم المنهج الوصفي التحليلي؛ نظرًا لملاءمته مع طبيعة الدراسة وأهدافها، فهذا المنهج "يتناول دراسة أحداث وظواهر وممارسات كائنة، وموجودة ومتاحة للدراسة والقياس كما هي، دون تدخل الباحث في مجرياتها، ويستطيع الباحث أن يتفاعل معها فيصفها ويحللها" (الأغا، 1997، ص 41).

نُشر المقال موضوع الدراسة في مجلة الفجر السودانية ضمن المجلد الأول، العدد الثاني عشر بتاريخ السادس عشر من نوفمبر عام ألف وتسعمائة وأربعة وثلاثين. وهو الثالث ضمن سلسلة مقالات قدّم فيها الكاتب رؤيته حول ملامح الحياة السودانية المستقبلية في عدد من المجالات، وما ينبغي أن تكون عليه لبناء مجتمع متماسك قوي.

كان محمد أحمد محجوب على قناعة راسخة بالدور المحوري الذي يتوجب على جيله الاضطلاع به في سبيل مواجهة التحديات التي اكتنفت تلك المرحلة الحرجة من تاريخ السودان، فقد كانت البلاد ترزح تحت نير الاستعمار، مما زاد من ثقل المسؤولية الواقعة على عاتق أبناء ذلك الجيل.

قسّم محمد أحمد محجوب مقاله إلى جزأين: ركز في الجزء الأول على تشخيص المشكلات وتتبع جذورها، ووضع يده على مكمن الداء وأسّ البلاء، ووضّح الأعراض وشخّص الأدواء. أما الجزء الثاني فعني فيه ببيان العلاج ووصف الدواء، وتضمن حلوله المقترحة لتجاوز هذه العقبات، بغية الوصول إلى مجتمع مثالي. الجدير بالذكر أن محمد أحمد محجوب كان شابًا لا يتجاوز السادسة والعشرين من عمره عندما كتب هذا المقال ونشره، مما يعكس نضج تفكيره وثقافته الواسعة رغم صغر سنه.

تحرير المصطلح (مقال ومقالة): المقال مصدر "قال يقول قَوْلاً وقِيلاً وقَوْلةً ومَقالاً ومَقالةً" وقد وردت المفردة بتاء التأنيث ودونها في كلام العرب، فجاءت مذكرة في قول الشاعر (العسكري، 1994، ص 144):

إذا قالَ لَم يَترُك مَقالاً وَلَم يَقِف لِعِيٍّ وَلَم يَثنِ اللِسانَ عَلى هُجرِ
يُصَرِّفُ بِالقَولِ اللِسانَ كما وَيَنظُرُ في أَعطافِهِ نَظَرَ الصَقــرُ

وفي قول الناشئ الأكبر (الأنباري، 1982، ص54):

ونحن أناسٌ يعرفُ الناسُ فَضلَنا بألسُنِنا زينت صدورُ المحافلِ
تُنير وُجوه الحقِّ عند جَوابِنا إذا أظلمت يوماً وُجوهُ
صَمتنا فلم نَترُك مقالاً لصامتٍ وقُلنا فلم نترك مَقالاً لِقائلِ

وجاءت بتاء التأنيث في قول كعب بن زهير (الثعالبي،1982، ص 62):

وَمَنْ دَعَا النّاسَ إِلَى ذَمّهِ ذَمّوهُ بِالْحَقّ وَبِالْبَاطِلْ!
مَقَالَةُ السّوءِ إِلَى أَهْلِهَا أَسْرَعُ مِنْ مُنْحَدِرٍ سَائِلْ

وجاءت كذلك في قول عامر بن الطفيل، وهو من الشعراء المخضرمين أيضًا (ابن الطفيل، 1979م، ص 71):

لَعَمري لَقَد أَهدى زِيادٌ مَقالَةً عَلَينا فَهَل إِن كانَ ذا مِرَّةٍ ضَرَر
تُعَيِّرُنا يَومَ المَروراةِ سادِرًا وَعِندَكَ مِن أَيّامِنا قَبلَها غِيَر
فَمَن مُبلِغٌ ذُبيانَ عَنّي رِسالَةً مُغَلغَلَةً مِنّي وَما تَنفَعُ العِذَر

وأيضًا في قول عَبْد الرَّحْمنِ بْن حَسَّان (الأنصاري، 1971، ص 23):

وإِنْ قُلْتَ فَاعْلَمْ مَا تَقُولُ فَإِنَّهُ إِلَى سَامِعٍ مِمَّنْ تُعَادِي وَنَاصِرِ
وَإِنَّكَ لا تَسْطِيعُ رَدَّ مَقَالَةٍ سَارَتْ وَزَلَّتْ فِي مَسَامِعِ

كَمَا لَيْسَ رَامٍ بَعْدَ إِطْلاقِ سَهْمِه عَلَى رَدِّهِ قَبْلَ الْوُقُوعِ بِقَادِرِ

والمقال أحد فنون النثر الحديثة، نشأ في كنف الصحافة وترعرع في ظلها، وأصبح دعامة أساسية من دعامات التعبير، وأداة رئيسة من أدوات التواصل الفكري والثقافي.

حظي المقال الاجتماعي باهتمام الكتّاب، نظرًا لدوره في صياغة الوعي المجتمعي من جهة، ولما يتيحه من تفاعل بين الكاتب والواقع المحيط به من جهة ثانية، ولدوره الفاعل في تعزيز العلاقة بين الكاتب وأفراد مجتمعه من جهة ثالثة.

والمقال الاجتماعي انعكاس حقيقي لمدى ارتباط الكاتب بقضايا الناس، فمن خلاله يسلِّط الضوء على أمراض المجتمع وآفاته و"يعالج مشكلة من المشاكل الاجتماعية، وينقد العادات السيئة، والتقاليد الضارة، وينفِّر مما هو ضار، ويرغِّب في النافع المفيد. ودور الكتّاب فيه المشاركة فيما يدور حولهم على طريقة تقوم على الملاحظة الدقيقة، والعمق والتأمل فيما يحيط بهم، والاتزان في الحكم، والبراعة في التهكم والسخرية، من العادات التي تضر بالمجتمع" (أبو ذكري، 1982، ص 74).

إن كاتب المقال الاجتماعي مهموم بقضايا مجتمعه: يهدف إلى تهذيب النفوس وتنوير العقول، ويسعى إلى رفع وعي مجتمعه وتوسيع مداركه من أجل النهوض به والارتقاء بمستواه، فيكشف عن مواضع القصور ويشير إلى مواطن الخلل، منفِّرًا من كلِّ سلبي وضار، وحاثًّا على تبني كلِّ إيجابي ومفيد؛ بغية إحداث التغير المجتمعي المنشود.

محمد أحمد محجوب: نشأته وحياته

اسمه محمد أحمد، وهو اسم مركب، وُلِد يتيمًا إذ توفي والده محجوب وتركه جنينًا في بطن أمه. كان والده يعمل بالتجارة بين كوستي (كبرى مدن ولاية النيل الأبيض) وملكال (مدينة جنوب سودانية، تقع على ضفاف النيل الأبيض). وأمه فاطمة بنت عبد الحليم مساعد الهاشمي، وكان جده لأمه "الساعد الأيمن للأمير عبد الرحمن النجومي [أحد أمراء الثورة المهدية وقادتها]" (أبو سليم، 1991م، ص10).

وُلِد محمد أحمد محجوب في مدينة الدويم، الواقعة على الضفة الغربية للنيل الأبيض (على مسافة مائتي كيلو متر جنوب الخرطوم) وذلك أواخر العقد الأول من القرن العشرين، وتحديدًا في السابع عشر من مايو عام 1908م (أبو سليم، 1991م، ص11). انتقلت به والدته إلى أم درمان، ونشأ في كنف خاله محمد عبد الحليم الذي تعهده بالرعاية اللازمة. درس بمدارس أم درمان، وأظهر تفوقًا دراسيًا لافتًا أهَّله للالتحاق بكلية غردون التذكارية (جامعة الخرطوم حاليًا) وتخرج في قسم الهندسة عام 1929م.

عمل فور تخرجه بوزارة الأشغال السودانية، إلّا أن إنشاء مدرسة الحقوق بكلية غردون، أشعل رغبة كامنة في نفسه في دراسة القانون، خاصة مع الأوضاع السياسية التي كانت تعيشها البلاد آنذاك؛ فالتحق بمدرسة الحقوق حين إنشائها عام 1936، وتخرج فيها 1938م.

عمل بسلك القضاء خلال المدة من 1938 إلى 1946م، ثم قدَّم استقالته ليستطيع ممارسة العمل السياسي بحرية، وولج عالم المحاماة، وأصبح لاحقًا نقيبًا للمحامين.

برز محمد أحمد محجوب في مجالات متعددة، منها الأدبي والفكري والسياسي، إلى جانب مجال العمل العام. عُني بقضايا قومه، وبكل ما يرتقي بحياة الأفراد، من ذلك طرحه في عام 1942 "فكرة إنشاء اتحاد لعمال السودان ينتظم كل طوائف العمال على نطاق القطر... بهدف النهوض بالعمال فنيًا واجتماعيًا، وخلق مجالات أرحب لهم، والمطالبة بالخدمات الاجتماعية والصحية والتعليمية لهم" (أبو سليم، 1991م، ص14).

شغل محمد أحمد محجوب منصب وزير الخارجية للمرة الأولى ضمن حكومة عبد الله خليل في 1956، وبعد ثورة أكتوبر 1964م أُسنِدت إليه حقيبة الخارجية مجدّدًا، ثم أصبح رئيسًا للوزراء في يونيو 1965 عقب الانتخابات التي تلت الثورة.

تميّز محمد أحمد محجوب بحنكة سياسية واضحة، وخبرة واسعة في إدارة الشأن العام، واستشعر عبء المسؤولية التاريخية التي تواجهها الأمّتان الإسلامية والعربية إبان الفترة العصيبة التي تلت نكسة 1967، ويُنسب له الفضل (بعد توفيق الله عز وجل) في تحقيق المصالحة التاريخية بين الملك فيصل والرئيس جمال عبد الناصر التي جرت في منزله خلال انعقاد مؤتمر القمة العربية الرابع المعروف بمؤتمر اللاءات الثلاث بالخرطوم في العام 1967م.

وإلى جانب العمل العام، فقد كان لمحمد أحمد محجوب إسهاماته الواضحة في المجالات الثقافية والفكرية والأدبية؛ فألقى المحاضرات، وشارك في الملتقيات والندوات، ونظم الشعر، ودبّج المقالات، ودوَّن الكتب، ونشر كثيرًا من إنتاجه في كبريات الصحف السودانية والمجلات وقتذاك، مثل حضارة السودان، والنهضة، والفجر.

توفي محمد أحمد محجوب بالخرطوم في الثاني والعشرين من يونيو عام 1976م.

محمد أحمد محجوب: آثاره وأعماله (أبو سليم، 1991م، ص 26 – 53):

أولاً: الإنتاج الشعري:

- "قصة قلب" ديوان شعري صدر عن دار الثقافة ببيروت، 1961م.
- "قلب وتجارب" ديوان شعري صدر عن مكتبة الحياة ببيروت، 1964م.
- "الأندلس المفقود" ديوان شعري صدر عن دار العودة ببيروت، 1969م.
- "مِسبَحتي ودِينّي" ديوان شعري صدر عن دار المعارف بالقاهرة، 1977م.

ثانيًا: الإنتاج الفكري:

- "نحو الغد" كتاب يضم مقالات نقدية وفكرية نشرها في الصحف والمجلات، صدر عن قسم التأليف والنشر بجامعة الخرطوم، 1970م.
- "الحركة الفكرية في السودان إلى أين يجب أن تتجه؟" طبع بمطبعة التمدن بالخرطوم، 1941م.
- "موت دنيا" (بالاشتراك مع ابن خاله عبد الحليم محمد) صدر عن مطابع دار أخبار اليوم، القاهرة 1946م.
- "الحكومة المحلية في السودان" صدر عن مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1945م.
- "Democracy On Trial" باللغة الإنجليزية – لندن 1974م. ثم صدرت نسخة مترجمة باللغة العربية بعنوان "الديمقراطية في الميزان".

أهمية الأدب ودوره:

الإنسان ينبوع الأدب ومصدره، وهو مصبّه وغايته. والإنسان مخلوق من روح ومادة، وللروح رغباتها واحتياجاتها، وللمادة تطلعاتها وطلباتها؛ فيأتي الأدب للقيام بوظيفته في تلبية هذه الاحتياجات، وتحقيق التطلعات، وإشباع الرغبات، ومن ثم تكوين الإنسان وتشكيله، وتهذيبه مما يَصِمُه أو يدنسه.

وكان محمد أحمد محجوب مؤمنًا بأهمية توظيف الأدب والفن لتعزيز الإحساس القومي واستنهاض المشاعر الوطنية وتحفيز الوعي الجمعي من أجل بناء مجتمع أكثر تطورًا. يقول في مقدمة كتاب موت دنيا: "وإذا الأدب الرفيع وإذا الفن الجميل وسيلة إلى إيقاظ الشعور وخلق الوعي القومي بعد أن كنا نتخذ هذا وذاك غاية لذاته لا وسيلة" (أبو سليم، 1991م، ص 38). فالأدب "مَلَكَةٌ تَعْصِمُ مَنْ قَامَت بِهِ عمَّا يَشِينُه، وَهُوَ تَعَلُّمُ رِيَاضَةِ النَّفْسِ ومَحَاسِن الأَخْلَاق ... والأَدبُ يَقَع على كل رِيَاضَةٍ مَحْمُودَةٍ يَتَخَرَّجُ بهَا الإنسانُ فِي فَضيلَة من الفَضَائِلِ" (الزبيدي، 2004، ج2، ص12). فما الذي يحدث إن اضطرب سبيل الأدب؟

افتتح محجوب مقاله وكأنه استشعر هذا السؤال، فكتب: "إنَّ أمةً اضطربَ فيها سبيل الأدب، فلا فرق بين العارف والجاهل، وعمّت الفوضى حتى كادت تودي بالغثّ والسمين، وضَعُفَ نظام التعليم فيها، وضاق مداه إلى أن قارب الأميّة إن لم يندمج فيها، لَحَرِيّةٌ أن تكون هدفًا للويلات الاجتماعية، وأن تشكوها، وتسعى جهدها للخلاص منها ومما يعقبها" (محجوب، 1970، ص133). ومن ثم دلف الكاتب إلى تناول النكبات الاجتماعية المتفشية في مجتمعه.

نظرًا لما تتطلبه طبيعة الدراسة، قام الباحث بتناول كل عامل مما طرحه كاتب المقال بشكل منفصل، حيث استعرض جوانب القصور التي أشار إليها الكاتب، موضحًا سُبل إصلاح هذه الجوانب، ومشيرًا إلى المثل الأعلى الذي يأمل الكاتب بتبنيه لتحقيق الحياة الاجتماعية المرجوة، ومن ثم الانتقال إلى العامل الذي يليه.

1) **نظام الأسرة والمرأة:** يعدُّ نظام الأسرة مرتكزًا أساسيًا لاستمرار الحياة وفق النواميس الكونية التي وضعها الله تعالى، لذا أولت الشرائع السماوية الأسرة عناية واهتمامًا، ووضعت أسسًا تضمن استقرارها، وتعينها على أداء رسالتها؛ فأقرّت لكل فرد فيها حقوقًا معتبرة، وألزمت أفرادها بمسؤوليات مفروضة، وجعلت الخروج عليها من الأمور المرفوضة.

والأسرة هي العنصر الرئيس الذي تستند إليه الدول لبناء مجتمع سليم معافى؛ لذا لم يكن مستغربًا أن يجعل الكاتب محور الأسرة نقطة انطلاقه في سعيه لتحقيق حياة مثالية لوطنه وشعبه. سلَّط محجوب الضوء على دور المرأة المحوري داخل الأسرة، فالمرأة (أمًّا كانت، أو مشروع أمٍّ في المستقبل) أساس بناء الأسرة؛ لدورها الفعَّال في التربية وغرس المفاهيم الصحيحة والقيم الإيجابية في نفوس أبنائها.

والتعليم بدوره ركيزة جوهرية تنطلق منه المجتمعات نحو التطور والارتقاء. إلا أن الواقع المؤلم حينذاك لحال المرأة أفزع الكاتب، إذ

كانت تعيش في بيئة ضربت عليها سياجًا من قيود، وتركتها "جاهلة تحوطها جدران من الجهل والتقاليد" (محجوب، 1970، ص 133) مما أقعدها عن أداء دورها في النهضة المأمولة على الوجه المنشود؛ فالجهل صنو الموت. ولله درّ شوقي القائل (شوقي، 2012م، ص 216 - 217):

الجهلُ لا تحيا عليه جماعةٌ كيف الحياةُ على يدَي عِزريلا

وإذا النساءُ نَشَأْنَ في أُمِّيَّةٍ رَضَعَ الرجالُ جَهَالةً وخُمُولا!!

فلا غرابة إذن أن يكون المجتمع متراجعا، فأي مجتمع تحتقر فيه "المرأة وتذاد عن نور العلم ازدراء لها واستهانة بوظيفتها ... فذاك مجتمع دوام انحطاطه محتوم، واطراد تدهوره بدهي، إذ لا نجاح لمجتمع تغمط فيه مكانة المرأة، وتغفل وظيفة الأم، وتجهل نعمة التعاون الزوجي" (أبو السعود، 1937، ص 35).

المثل الأعلى: يتطلع الكاتب إلى أن يكون نظام الأسرة مما يسهم في تعزيز روح التعاون بين المرأة وزوجها، والالتزام بأداء الواجبات قبل المطالبة بالحقوق، وأن يحقق مبدأ المساواة، وأن يدعو إلى الارتقاء بالمشاعر نحو المثل العليا، والترفّع عن الصغائر والمصالح الشخصية الضيقة. فإذا تحقق ذلك فسنكون قد وضعنا أقدامنا على الدرجات الأولى من سلم الحياة الاجتماعية السعيدة التي ننشدها ونسعى إليها، والتي تكفلها حياة سياسية مزدهرة.

والكاتب حين ينادى بتعليم المرأة فلا يرمي بذلك إلى أن تتخلى عن عاداتها وتقاليدها وحشمتها، ولا أن ترتمي في أحضان الثقافة الغربية الوافدة، وإنما هدف إلى زيادة إدراكها، ورفع وعيها، فتكون زوجًا ناضجة وأمًّا نيرة مثقفة. يقول محجوب: "وأنا عندما أقول بتعليم المرأة لا أريدها أن تعمل في الأسواق أو تدخل ميدان الوظائف الكتابية، ولكني أريدها زوجًا مدبرة وأمًا تعنى بتربية الطفل، وترعى جسده وروحه، وتتكفل بغذائه الجسمي والعقلي والخلقي. ولا أريدها سافرة متبرجة، ولكني أقول بمحافظتها على تقاليدها المرعية وعلى تقاليد وتعاليم دينها الحنيف، وأريدها ملاكًا يرفرف في جلسات الأسرة وليالي سمرها" (محجوب، ص 135).

وأثر المرأة في المجتمع عظيم، وتأثيرها في الرجال جليٌّ بيّنٌ واضح، ومعاملة الرجل إياها تكشف عن موقفه منها ونظرته إليها، ومدى احترامه لها. ففي وجودها يكون الرجال أكثر انتباهًا لكلامهم وضبط حديثهم، فيختارون مفرداتهم بعناية، ويصوغون عباراتهم برقي، ويتجنبون أي تصرف قد يجرح إحساسها أو يمس كرامتها، يقول الكاتب: "إني أتحدث الإنجليزية مع الإنجليز وغير الإنجليز، وأهتم في بعض المواقف بلغتي وأصقلها، ولكني ما تحدثت إلى سيدة إنجليزية إلا ورأيت ألفاظي وتعابيري تتسامى، ورأيتني حريصًا في القول مقتصدًا في الرأي، وشعرت بأني غير ذلك الرجل الذي يتحدث مع الرجال أمثاله. وبعد البحث والاستقراء علمتُ أن للمرأة سلطانًا على الرجال يؤثر حتى في محادثاتهم وأعمالهم الأدبية" (محجوب، ص 135).

2) الشباب: إن الشباب الواعي هو أثمن ما تمتلكه الأمم، فهم مصدر عزّها ومكمن فخرها ومبعث قوتها، وعماد حاضرها، وذخرها لاستشراف المستقبل ومواجهة تحدياته. هذا الأمر يلقي بتبعات على الشباب، ويفرض عليهم ضوابط، أولها جهاد النفس، ومغالبة الشهوات المؤذية والابتعاد عن المسكرات التي تضعف الجسم وتسلب الإرادة وتذهب العقل، فتجعله عبدًا لها. و"إذا نظرنا إلى أخلاق الشبّان هالتنا الهوة السحيقة التي ينحدرون إليها واعين وغير واعين" (محجوب، ص 133).

لقد انصرف الشباب عن واجباتهم، وقصّروا في نصرة بلادهم، فأضعفوا أجسادهم وأوهنوا عزائمهم وتقاعسوا عن مسؤولياتهم، في وقت كانت بلادهم ترزح تحت وطأة الاستعمار، وفي حاجة ماسة إلى مجهوداتهم، وظلّت تنتظر دعمهم، وتتطلع إلى مؤازرتهم!

كان الكاتب يأمل أن يجعل الشبابُ مصلحة الوطن أولوية، وأن تتراجع دون ذلك بقية الأمور؛ ففي عزة الوطن عزتهم، وفي رفعته رفعتهم، وفي انكساره انكسارهم، فكيف بالشباب الواعي أن يرضى انكسارًا أو يقبل ذلًّا! وكان يرجو أن يجد شباب وطنه على الصورة المثلى: سعة في الفكر، ورفعة في الأخلاق، وقوة في البدن، فإذا بالواقع غير ما كان يرجو ويأمل! "إن شبابنا أخذوا من مدنية الغرب القشور دون اللباب فتفانوا في السُكر والميسر والفساد فأنساهم الشيطان ذكر ربهم، وأخذوا يفكرون في منافعهم الشخصية دون منفعة البلاد، وجعلوا يتبجحون بأن لهم حقوقًا، ونسوا أن عليهم واجبات" (محجوب، ص 135).

المثل الأعلى: أشار الكاتب إلى جهود جوزيف مازيني حين كانت إيطاليا تعيش أوقاتًا عصيبة، عسى أن يتخذ الشباب من كلماته نبراسًا يهتدون بها، فما أشبه الواقع الذي كانت يعيشه السودان بواقع إيطاليا وقتذاك!

"قال جوزيف مازيني عندما كان يدعو أبناء إيطاليا الفتاة لتحريرها كلمة إذا اتبعناها نجحنا في جميع مقاصدنا. وفحوى تلك

الكلمة أن كل الثورات التي قامت نادى زعماؤها برد الحقوق، ولكنه يقول لأبناء إيطاليا إن عليكم واجبات. مازيني لم يقل ذلك اعتباطًا، ولكنه كان يعلم حق العلم أن الرجل الذي يعرف واجباته ويؤديها على وجهها الأكمل سترد إليه حقوقه غير منقوصة دون أن يطالب بها، ولقد صدّقت الأيام زعمه، فتحررت إيطاليا وغدت ملء العين والأذن" (محجوب، ص 135- 136).

على الشباب إذن أن يضطلعوا بمسؤولياتهم، وأن يقصدوا إلى اكتساب العلوم والتعمق في المعرفة، وأن يسعوا إلى تشكيل منظمات المجتمع المدني التي تهدف إلى التغيير الإيجابي، ومحاربة الفساد، والقضاء على الأمية، وأن يلتمسوا كل ما من شأنه تحقيق المنفعة العامة.

ومن واجب الشباب أن ينبذوا الفرقة والاختلاف، وأن يعملوا على تعزيز روح المواطنة المؤسسة على هوية وطنية ترتكز على مبدأ المساواة بين أبناء الوطن جميعهم، بعيدًا عن أي شكل من أشكال التمييز القائم على اللون أو العرق أو القبيلة؛ فتُمحى الفوارق، وتُزال الاختلافات، ويُعزز الاعتصام بحبل الوطنية المتين الذي يجمع شمل أبناء الوطن كلّهم. يقول محجوب: "وواجب الشبّان أن ينقذوا البلاد من ويلاتها، وأن يرفعوا مستوى الحياة الاقتصادية، ويساهموا في تكوين الأعمال الخيرية التي تخفّف آلام الفقير وتكفل لأبنائه مستقبلاً زاهرًا. وواجب الشبّان أن ينادوا بمحو القبائل، وأن يقولوا إننا سودانيون، لا فرق بين أسودنا وأبيضنا، ولا فرق بين ساكن الشمال وساكن الجنوب!" (محجوب، ص 136).

3) الكهول والشيوخ: للكهول والشيوخ نصيب من الأسباب التي تضافرت وعملت على تقويض أركان الأمة، ومن ذلك ما تنوء به كواهل هذه الفئة من مثالب السياسة الخبيثة مما أورثتها إياهم الحكومات المتعاقبة السابقة، وإن كانوا يسمونها دهاء، فما هي سوى دسٍّ ورياء وأمراض كما يصفها الكاتب.

وعلى الرغم مما يحمله الكهول والشيوخ في جعابهم من خبرات واسعة، وتراكمات عملية وحياتية، فإنهم انزووا إلى جانب قصي من الحياة؛ لاعتقادهم أنهم أدّوا ما عليهم من التزامات تجاه وطنهم، وأصبحوا منشغلين بثقل الشيخوخة، و"لاهين بأعباء الكبر وتكاليف العيش وخوف الموت عمّا تطلبه أمتهم من جهودهم وما ترجوه من الاستفادة بتجاربهم" (محجوب، ص 133).

المثل الأعلى: إن الوطن في حاجة إلى جهود أبنائه جميعهم؛ فالأمة تطمح إلى الاستفادة من تجارب الكهول والشيوخ وحكمتهم، كما تعوّل على عطاء الشباب وقوتهم. ولا يعفي الكاتب هذه الفئة من المسؤولية، ويدعوهم إلى أن يكونوا قدوة حسنة ونموذجًا يُحتذى به للشباب، وأن ينقلوا ما يحملونه من فضائل إلى الأجيال التالية، وأن يعملوا مخلصين مع بقية فئات المجتمع من أجل نهضة البلاد ورفعتها، وأن يصدعوا بكلمة الحق، وإن كانت ثقيلة "الحق ثقيل، ولذلك كان الذين يرضون بحمله قليلين" (البستاني، 2015، ص 69). يقول الكاتب: "إن من بلغ الأربعين أو جاوزها أولى بخدمة بلاده من سواه، وهو خليق أن يكف عن الدس وعن الرياء، فهو إن عمل في وضح النهار وإن جاهر بالحق فلن يصيبه أذى لأن له من السنان شفيعا، وإذا أصابه أذى من جراء تلك الصراحة، ومن أجل قول الحق فهو نعم الأذى وفيه خير العزاء لمن يطمع أن يرى بلاده متمتعة بما يرجوه لها من تقدم وعمران، فإلى ميدان العمل أيها الكهول والشيوخ، واحملوا علم الجهاد، ولكم من الشبّان خير جند" (محجوب، ص 136).

4) المجالس والمنتديات: إذا اشرأبَّت أعناقنا إلى المجالس والمنتديات وقتذاك "وجدنا المؤمن يأكل لحم أخيه حيّا، وألفينا الانقسام ينخر في صميم الأمة ويهدد كيانها، ورأينا فتيان الحي يشغلهم التفكير في أشخاصهم الفانية عن التفكير في خير هذه الأمة التي ما زالت في سباتها تحاول فتح عينيها، فيروعها ما ترى بنيها عليه من محن تتلوها محن، وانقسام يتلوه انقسام" (محجوب، ص 133).

لقد انحرفت المجالس عن دورها الذي يفترض أن تضطلع به في بناء المجتمعات وحل المشكلات؛ فأصبحت حينًا معول هدم لا أداة بناء، وغدت تارةً مسرحًا للنزاعات الفكرية التي قد تصل حدَّ الخصام والانقسام.

المثل الأعلى: يأمل الكاتب أن تعود المجالس إلى جادة الطريق بعد تنكبها؛ فللمجالس والمنتديات دور عظيم وأثر واضح في تعزيز التماسك الوطني، وترسيخ قيم التآلف والمودة بين أبناء المجتمع، وتكوين رأي عام يجمعهم، إضافة إلى طرح قضايا الفكر والثقافة والأدب، ومناقشة الأمور العامة والخاصة، وتبادل التجارب والخبرات التي تُثري الحياة، في جوٍّ تتخلله روح من الفكاهة وأساليب الدعابة التي تضفي على النقاشات طابعًا خاصًا وتحفز على المشاركة الإيجابية.

5) مستوى المعيشة: أحكم المستعمر قبضته على البلاد، واستنزف خيراتها، وانتهب ثرواتها، وهيمن على مواردها؛ فعصف الفقر بحياة الأفراد، وعضَّ المجتمعَ بأنيابه، وصار قوة غاشمة أنهكت الروح

الإنسانية، وأضحى الناس يكافحون لتأمين احتياجاتهم الأساسية. هذا الوضع وقف عَقَبَةً كَؤُودًا أمام الشعور بالراحة النفسية، فتراكمت الضغوط، وبرزت أزمات أخلاقية أضعفت أسس القيم، وزعزعت النسيج الاجتماعي، وانزوت مظاهر الجمال، سواء كانت طبيعية أو صناعية، بعيدًا عن دائرة الاهتمام.

المثل الأعلى: الفقر ليس أمرًا وراثيًا يرتبط بالجينات، فيمكن للفقير أن يخرج من دائرة الفقر، إلا أن هناك عوامل من شأنها أن تعمل على زيادة نسبة الفقر بين أفراد المجتمع، وتعوق عملية النمو الاقتصادي. وقد تصدى الكاتب لآفة الفقر وبيّن أهمية تضافر الجهود الفردية والجماعية لمواجهتها، وأخذ يشجع الناس على الالتزام بأداء واجباتهم، ويحثهم على العمل الجاد، وبذل الجهد المستمر، ويحفزهم على التفاني والإخلاص في كل ما يوكل إليهم من أعمال، محذِّرًا من مغبة التكاسل والاستسلام لحياة الدعة أو الوقوع في براثن البطالة. ونبّه إلى أخطار السلوكيات السالبة كالدس والرياء، وما تحدثه من تأثير سيئ يعرقل عجلة النمو والازدهار.

ودعا محجوب إلى بناء جسور الثقة بين أفراد المجتمع، وتعزيز روح التعاون بينهم، وتجنب الفرقة والانقسام؛ لأن ذلك هو السبيل للخروج من هوة الفقر إلى سطح الحياة الطيبة وتنسم عبقها. يقول: "أما مستوى المعيشة وملذات الحياة والالتفات إلى نفحات الجمال وروائعه فهذه من حقنا إذا قمنا بواجبنا، وستكون موفورة للجميع إذا زال الانقسام وتمتعنا بالثقة فيما بيننا، وسادت بيننا روح التعاون والإخلاص وروح الإقدام والتضحية، وستكون لنا في القريب العاجل منتديات تفي برغائبنا، ونجد فيها مجالاً لتنفيذ خططنا وتحقيق أحلامنا" (محجوب، ص 136).

6) **الحياة السياسية:** وجه محجوب سهام نقده إلى الحكومات التي آلت إليها أمور البلاد. كانت البلاد وقتها تحت الحكم الثنائي الإنجليزي المصري، وعاشت قبل ذلك في ظل ثلاث حكومات: أما زمن مملكة الفونج فلم تحصد الأمة شيئًا سوى البؤس والخراب، إذ كان الجهل متفشيًا، والفوضى عارمة، والظلم مستفحلاً، والكلمة متفرقة. ثم "جاء العهد التركي المصري فوقعت البلاد في قبضة الحاكم الأجنبي الذي لا يهمه من أمرها إلا أن يستغل مالها ورجالها، فجعل الولاة الأتراك ينهبون الذهب نهبا، ويجندون الفيلق تلو الفيلق ليزيدوا عدد جند والي مصر، وليدخلوا إلى جيشه عنصرًا فيه من الميزات والقوة ما يحتاجه ذلك الجيش" (محجوب، ص 133).

ثم جاءت المهدية لتخرج الناس من ظلام الجهل وبراثن الظلم. ويشير الكاتب إلى أنها نجحت في ذلك بادئ الأمر "ولكن الجهل قعد بنيّاتها، وقضى في عهدها الأخير بأن تكون مثارًا للتفرُّق القبلي من جديد ... وهكذا ترى كيف تجمَّعت العوامل واتَّحدت لتجعل من هذه الأمة طعمة سائغة لكل غازٍ وكل محتاج، ولتورّثها وهنًا في الأخلاق وتفرقًا في الكلمة" (محجوب، ص 134).

المثل الأعلى للحياة السياسية: بالرغم من أن مقال المحجوب جاء تحت عنوان "في الاجتماع والسياسة" فإنه لم يشر إلى طرق إصلاح بشأن الحياة السياسية، وإنما اكتفى بالإشارة إلى الدركات السياسية المزرية التي انحدرت إليها حال البلاد، فما تعليل ذلك؟

يجيب الكاتب (محجوب، ص 137): "أراك-أيها القارئ- تسألني: ما هو المثل الأعلى للحياة السياسية؟ لأن عنوان المقال يدل على أني سأحدثك في ذلك الشأن، وجوابي هو أن السياسة لم يأتِ الأوان لنتحدث عنها ما دامت مقدماتها من تعليم وحياة أدبية واجتماعية ناقصة، وما دمت أنا مكتوف اليدين حبيس اللسان.

ولو أن المجالَ مجالَ سردِ لأطلقتُ اللسانَ بما يزينُ

ولكنّ اللسانَ له قيود فمهلاً، سوف تطلقه السنين!

ختم الكاتب مقاله مجمِلا ما فصَّل، فكتب: "إن المثل الأعلى للحياة الاجتماعية أن تكون لنا أسرة صحيحة تديرها امرأة متعلمة، وأن يعرف الشبّان واجباتهم قبل أن يطالبوا بحقوقهم وأن تتحد كلمتهم، وأن يفنى نظام القبائل، وأن يتقدم الكهول والشيوخ إلى ميدان العمل ويحملوا علم الجهاد، وأن يضحوا بالبقية الباقية من أيامهم وحياتهم في سبيل الله والوطن" (محجوب، ص 137).

أسلوب المقال:

الأسلوب في اللغة هو "الضْربُ مِنَ النْظم والطريقةُ فيه"(الجرجاني, 1992م، ص 469). وهو "المنوال الذي تُنْسج فيه التراكيب، أو القالِب الذي يُفْرغ فيه" (ابن خلدون, 1996، ص 569). وهو في الاصطلاح "جملة الصيغ اللغوية التي تعمل عملها في إثراء القول، وتكثيف الخطاب، وما يستتبع ذلك من بسط لذات المتكلم، وكشف عن سرائره، وبيان لتأثيره في السامع" (عبد البديع، 1989، ص 75).

والأسلوب عند شارل بالي "يتمثل في مجموعة من عناصر اللغة المؤثرة عاطفيًا على المستمع أو القارئ، ومهمة علم الأسلوب لديه هي البحث عن القيمة التأثيرية لعناصر اللغة المنظمة، والفاعلية المتبادلة

بين العناصر التعبيرية التي تتلاقى لتشكيل نظام الوسائل اللغوية المعبرة، فاللغة بالنسبة له هي مجموعة من الوسائل التعبيرية المعاصرة للفكر" (فضل، 1998، ص 97).

يسعى الأسلوب الأدبي بشكل عام إلى استثمار الطاقات التعبيرية الكامنة في اللغة، وتحويلها إلى أداة تواصل فعّالة نابضة ضمن سياق وجودها اللغوي. ويمثل الأسلوب الغلاف الخارجي للفكر أو المضمون الأساس الموجود مسبقًا في ذهن المرسِل. وبالتالي، يصبح الأسلوب بمثابة الإضافة التي تسبغ الحيوية على النص وتمكنه من القيام بدور فعّال يجعله قادرًا على التأثير في المتلقي وإقناعه. وهو أيضًا بمثابة نافذة يطل منها المتلقي على الإشارات الفكرية، والمشاعر القوية التي يختزنها النص، مما يعزز من قدرة الأسلوب على إيصال الرسالة الفكرية والدفقات الشعورية على حد سواء.

والأسلوب يعكس تفرد الكاتب وهو بمثابة البصمة؛ فلا غرو أن تتعدد أساليب الكتّاب بتعدد شخصياتهم، وتباين تجاربهم، وتفاوت ثقافاتهم. بل إن الكاتب نفسه قد يلجأ إلى تنويع أساليبه بما يتلاءم مع طبيعة الموضوعات التي يتناولها، أو الفنون الأدبية التي يعالجها.

وللمقال الاجتماعي سمات تميزه عن غيره، فهو يستلزم دقة التعبير ووضوح العبارة وتجنب الزخارف اللفظية أو التكلف البلاغي كالسجع وغيره من المحسنات البديعية؛ لأن الانشغال بها قد يصرف الكاتب عن تقديم الحجج والبراهين والشواهد التي تهدف لإقناع القارئ بمضمون المقال. كما أنه يفرض على كاتبه تقديم أدلة دامغة ومنطقية لأن القضايا الاجتماعية بطبيعتها تحتاج إلى الإقناع أكثر من حاجتها إلى إثارة المشاعر أو زخرفة الأسلوب. فلا مجال إذن في المقال الاجتماعي إلى الانشغال بزينة الألفاظ وبهرجة الشكل إلا ما جاء عفو الخاطر ودون تكلف أو عناء.

ومن المهم كذلك أن يتسم المقال الاجتماعي بالوضوح، سواء على مستوى المفردات أو الجمل أو الأفكار، فينبغي على الكاتب أن يستخدم كلمات واضحة وسهلة، ويتجنب الكلمات الغريبة والمفردات المهجورة، وأن تكون الأفكار المطروحة مدعومة بأدلة واضحة وبراهين منطقية "وإيرادها على حكم المنطق الصحيح، وربط الأسباب بمسبباتها، والدقة في التفصيل؛ لأن الغرض منه معالجة الأمر الواقع، فلا ينبغي فيه استعمال الأقيسة الشعرية، ولا الخيال المجنح، اللهم إلا في الأحوال التي تقتضي استفزاز الجماهير وإثارة عواطفهم، وتحمسهم للإقلاع عن خلة فاسدة" (الدسوقي، 2007، ص 96).

ولاستجلاء السمات الأسلوبية لمقال محجوب، كان من الضروري التوقف عند الألفاظ والتراكيب التي استخدمها، لأنها تشكّل الدعامة الأساسية التي يُبنى عليها العمل الأدبي، كما أنها تعكس مهارة الكاتب وقدراته التعبيرية، ولأن أسلوب الكاتب يتجلى من خلال الطرائق التي يتخير بها ألفاظه ويصوغ تراكيبه ويعبر عن أفكاره.

من السمات البارزة في أسلوب محجوب:

أولاً: تجميل الأسلوب ببعض المحسنات البديعية غير المتكلفة بما يعزز من جماليات النص وترابطه، وبما يحقق التناسق الصوتي والاتساق المعنوي بين مكونات المقال، ومن ذلك:

أ) استخدام الطباق باعتباره وسيلة تجلي المعاني وتزيدها وضوحًا وبيانًا، فبضدها تتضح المعاني "والضِّد يظهر حسنه الضِّد"، ومنه:

- طباق الإيجاب بين (العارف والجاهل)، وبين (الغثّ والسمين) في قوله: "إن أمة اضطرب فيها سبيل الأدب، فلا فرق بين العارف والجاهل، وعمت الفوضى حتى كادت تودي بالغثّ والسمين ..." (محجوب، ص 133).

- طباق الإيجاب بين (عاجل وآجل) في جملة: "لا تنتج سوى الخراب عاجلا أو آجلا" (محجوب، ص 134).

- طباق السلب بين (واعين وغير واعين) في قوله: "وإذا نظرنا إلى أخلاق الشبّان هالتنا الهوة السحيقة التي ينحدرون إليها واعين وغير واعين"(محجوب، ص 133).

- طباق السلب بين (الصالح وغير الصالح) في قوله: "والتقاليد الصالح منها وغير الصالح بدأنا نطرحها جانبا"(محجوب، ص 135).

- طباق التدبيج بين (أسودنا وأبيضنا) في عبارة: "وأن يقولوا إننا سودانيون، لا فرق بين أسودنا وأبيضنا" (محجوب، ص 136).

ب) تجنب محجوب استخدام السجع "لأن الجري وراء السجع قد يفوّت على الكاتب الغرض الذي يرمي إليه، وقد يذهب المعنى المراد في سبيل سجعة متكلفة، ولا عجب في البعد عن السجع، إذ الذهن منصرف إلى تفتيق المعاني، وسوق الحجيج، وضرب الأمثلة لا إلى الجري وراء كلمة أو سجعة" (الدسوقي، 2007. ص 96، 97).

غير أنه استخدم الازدواج: وهو "التوازن في الإيقاع الصوتي، وتوازن الجمل في الطول والرنين والموسيقى" (ياسين، 2020، ص

205)، حيث يقسّم الأديبُ الجمل المتتالية إلى مقاطع متساوية في الطول والإيقاع مما يمنح النص إيقاعًا موسيقيًا صوتيًا، دون سجع فلا يكون هناك اتفاق في حروف الفواصل. ومن ذلك:

–"قوة في الإيمان وصبرًا على الشدائد"(محجوب، ص 134).

–"وهنًا في الأخلاق وتفرقًا في الكلمة" (محجوب، ص 134).

ج) اللجوء إلى الترادف لتأكيد الأفكار وتثبيتها وترسيخها، ومن ذلك:

–"هذه الأمة التي ما زالت في سباتها تحاول فتح عينيها، فيروعها ما ترى بنيها عليه من محن تتلوها محن، وانقسام يتلوه انقسام" (محجوب، ص 133).

– "إن عَمِلَ في وضح النهار وإن جاهرَ بالحق" (محجوب، ص 136).

– "تفي برغائبنا ... وتحقيق أحلامنا" (محجوب، ص 136).

ثانيًا: لجأ الكاتب إلى استخدام الصور البيانية؛ لدورها في توضيح المعنى ودعم الأفكار. من ذلك قوله: "كانت ثمة فوضى يؤيدها الظلم ويُحْكِم أمرها" (محجوب، ص 133). شبَّه الكاتب الفوضى بفرس جامح، ذكر المشبه، وحذف المشبه به وهو الفرس. وشبه الظُلم بالحَكَمَة، "والحَكَمَةُ حديدة في اللجام تكون على أنف الفرس وحَنَكِه تمنعه عن مخالفة راكبه" (ابن منظور، 1994، مج 12، ص 144) فالظلم كالحكمة يتحكم في الفوضى يوجهها حيث شاء، وأنّى أراد. والمعنى أن الفوضى أضحت عارمة، والأمور آلت إلى المفسدين والظالمين.

كما استخدم الكاتبُ التجسيد، وهو "إبراز الماهيات، والأفكار العامة، والعواطف في رسوم وصور وتشابيه محسوسة، هي في واقعها رموز معبرة عنها" (عبد النور، 1984، ص 59). ومن خلال تقنية التجسيد يستطيع الأديب أن ينقل المعاني المجردة في صورة مادية محسوسة تجعلها أكثر وضوحًا، وأقرب فهمًا لدى القارئ؛ وذلك لأن الأمور المحسوسة بطبيعتها تكون أقرب إلى الإدراك مقارنة بالأفكار المجردة، ولأن "العلم المستفادَ من طرق الحواسّ أو المركوز فيها من جهة الطبع وعلى حدِّ الضرورة، يفضلُ المستفاد من جهة النَّظر والفكر في القوة والاستحكام، وبلوغ الثقة فيه غاية التمام" (الجرجاني، 1991، ص 121).

ومن أمثلة التجسيد في المقال:

– "فإذا نظرنا إلى نظام الأسرة وجدنا المرأة جاهلة تحوطها جدران من الجهل والتقاليد" (محجوب، ص 133) فقد جعل الجهل والتقاليد وهما معنويان في صورة شيء محسوس مما قرَّب الصورة إلى ذهن القارئ؛ فالمرأة حبيسة هذه العادات والتقاليد، وغدت كالسجين لا يجد منفذًا لخروج، أو مسلكًا لهروب.

– "وكان الناس إذ ذاك تغمرهم موجة من الجهل" (محجوب، ص 133) فوضعَ الجهل المعنوي في صورة محسوس مادي، فالجهل قد تمكن من الناس وغمرهم كما يغمر الموج شاطئ البحر.

– وقد نجح الكاتب في توظيف التجسيد ووظَّف ما فيه من فائدة بلاغية، فبدت "المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل، كأنها قد جُسِّمت حتى رأتها العيون" (الجرجاني، 1991، ص43).

ثالثًا: اعتمد الكاتب على استخدام الأسلوب الخبري وأكثر منه، أما الجمل الإنشائية فجاءت محدودة في المقال، وتمثلت في الاستفهام والأمر، ومنها:

- "ومستوى المعيشة ونوعها وملذّات الحياة ومطامعها، هل تلك مما يساعد على قيام حياة اجتماعية سعيدة؟" (محجوب، ص 134).

- "فَلْنَرَ: ما هي طريق الإصلاح؟ وما المثل الأعلى الذي يحق علينا أن نضعه لحياتنا الاجتماعية ونتبعه؟"(محجوب، ص 135).

- "فإلى ميدان العمل أيها الكهول والشيوخ، واحملوا علم الجهاد، ولكم من الشبّان خير جند"(محجوب، ص 136).

رابعًا: سلم النص من أي تعقيدات لفظية، أو تراكيب ركيكة؛ فألفاظ المقال تميزت بالجزالة والقوة، وبالوضوح والسلاسة، فلا غرابة فيها ولا غموض، إذ عمد الكاتب عمومًا إلى اختيار مفردات متداولة تخدم الفكرة، وتجنب المفردات الحوشية الوعرة.

غير أن الكاتب استخدم بعض كلمات قلّ استعمالها عمومًا (وإن كانت فصيحة)، أو استخدمها في غير المعنى المتداول، ومن ذلك قوله: "وما تبدهنا به الظروف من الأزمات المالية والأخلاقية" (محجوب، ص 134). جاء في لسان العرب: "بده :البَدْهُ والبُدْهُ أَوّل كُلِّ شَيْءٍ وَمَا يفجأُ مِنْهُ. وأَن تَسْتَقْبِلَ الإِنسان بأَمر مُفاجأَةً. وبَدَهَهُ بالأَمر: اسْتَقْبَلَهُ بِهِ. تَقُولُ: بَدَهَهُ أَمرٌ يَبْدَهُه بَدْهًا فجأَه، وَتَقُولُ :بادَهَني مُبادَهَةً أَي باغَتَني مُباغَتة" (ابن منظور،

1994، مج 13، ص 475). فكلمة (تبدهنا) فصيحة لكنها غير دارجة الاستخدام.

ومن ذلك أيضًا قوله: "غير أن لهذا الشعب فضائله التي توارثها والتي لولاها ما احتمل عقابيل تلك الأدواء دون أن يفنى" (محجوب، ص 134). ذكر صاحب اللسان أن: "العَقَابِيلُ: بَقايا العِلَّة والعَداوةِ والعِشْقِ، وقيل: هو الذي يخرج على الشَّفَتَينِ غِبَّ الحُمَّى" (ابن منظور، مج 11، ص 466). فكلمة عقابيل كسابقتها، فصيحة لكنها غير متداولة.

وكتب محجوب: "والتقاليد الصالح منها وغير الصالح بدأنا نطرحها جانبًا، ولا ننظر إليها إلا كبعض العاديات في زوايا في المتاحف" (محجوب، ص 135). والعاديات اسم سورة من سور القرآن الكريم، وهي كلمة مستعملة يرددها المسلمون في قوله تعالى: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ (القرآن الكريم، العاديات: 1)، ومستعملة في الآية الكريمة للخيل المغيرة. غير أن الكاتب استعملها بمعنى الأشياء القديمة العتيقة، وهو استعمال فصيح. قال ابن منظور:" والعادِيُّ الشَّيْءُ الْقَدِيمُ نُسِبَ إِلى عَادٍ" (ابن منظور، مج 3، ص 322).

خامسًا: استيحاء التاريخ، والإفادة من تجارب الآخرين: الرجوع إلى الماضي واستكشاف التاريخ وتجارب الأمم المختلفة أمر لا يمكن الاستغناء عنه لمن أراد اختصار الطريق واختزال الزمن، فهو يوفر فرصة للاستفادة من خبرات الآخرين ويساعد على فهم أعمق للقضايا المجتمعية الحالية من جهة، وصياغة مستقبل أكثر إشراقًا من جهة أخرى.

والكاتب الماهر يدرك أهمية استقراء التجارب التاريخية، فيستخلص منها الدروس والعِبر ثم يعيد توظيفها بما يخدم أفكاره ويقوي حججه. لذا، لجأ محجوب إلى تاريخ الأمم التي ناضلت وتمكنت من كسر قيود الضعف والتفرق والاختلاف، وتنسمت عبق الحرية ورفرفت على ربوعها رايات التقدم والتطور.

توقف محجوب عند جمعية "إيطاليا الفتاة" التي أسسها جوزيف مازيني بهدف توحيد إيطاليا، ليقدمها كنموذج ملهِم لشباب وطنه، حاثًّا إياهم على الاقتداء بهذا النموذج والسير على نهجه، وجعله مثلاً أعلى في سبيل تحقيق تطلعاتهم والوصول إلى أهدافهم. "قال جوزيف مازيني عندما كان يدعو أبناء إيطاليا الفتاة لتحريرها كلمة إذا اتبعناها نجحنا في جميع مقاصدنا...."(محجوب، ص 135).

كان محجوب رجلاً وطنيًا مثقفًا ومنفتحًا على الثقافة الغربية، وكان حريصًا على تتبع الحق والأخذ به "فالحِكمةُ ضالة المؤمِنِ فحيثُ وجدَها فَهوَ أحقُّ بِها" (الترمذي، 1975، ج5، ص 51).

والمثل الأعلى عنده لا يعني التعلق بالقديم والتوقف عنده، فهذا جمود يرفضه، ولا يعني الذوبان في الثقافة الغربية الوافدة فهذا انسلاخ يمقته، وإنما المثل الأعلى عنده يتمثل في تحقيق التوازن القائم في أساسه على ثقافة إسلامية عربية أصيلة تتفاعل بشكل إيجابي مع مكتسبات الحضارة الغربية. والمثل الأعلى يتسم بالتجدد فكلما أحرز الإنسان تقدمًا نحو تحقيق المثل، تبدّت أمامه غايات أكثر سموًا وأبعد مدى، تستثير طموحه وتدفعه إلى مواصلة التقدم. وهكذا، يظل الإنسان في سعي دائب طلبًا للكمال البشري.

سادسًا: الزمن اللغوي في المقال: قسّم الصرفيون الزمن في اللغة إلى ماضٍ ومضارع وأمر بناءً على وقت حدوث الفعل. غير أننا نجد في واقع الاستعمال اللغوي أنّ "دلالة الفعل على زمنٍ ما تتوقف على موقعه وعلى قرينته في السياق" (حسان، 1994، ص 105) وهو ما يطلق عليه الزمن النحوي (التركيبي) أي الدلالة الزمنية التي يحملها الفعل ضمن سياق الجملة، والتي يمكن استنباطها من خلال السياق الذي يظهر فيه الفعل .

اعتمد محجوب بشكل كبير على استخدام الفعل المضارع مقارنةً بالفعل الماضي، أما الأمر فلم يتجاوز استخدامه عدد أصابع اليد الواحدة؛ ولعل هذا يعود إلى قدرة المضارع على "تصوير الحدث، وإقامته بين عيني المخاطب كأنَّه يقع" (سعد، 1994، ص 346) إلى جانب التنوّع الكبير في دلالاته؛ فالمضارع يدل في الأصل، وفقًا لأكثر النحاة، على الحال أو الاستقبال، وقد يدل على التجدد والاستمرار، أو الحقيقة المجردة غير مقترنة بزمن.

والفعل المضارع يمكن أن يحمل دلالة الماضي إذا سبقته (لَمْ) الجازمة؛ إذ إن (لَمْ) "تَقْلِبُ زَمَنَ الْفِعْلِ الْمُضَارِعِ إِلَى الْمَاضِي، فَتُفِيدُ انْتِفَاءَ مَادَّةِ الْفِعْلِ فِي الزَّمَنِ الْمَاضِي، وَتُفِيدُ تَجَدُّدَ ذَلِكَ الْمَنْفِيِّ الَّذِي هُوَ مِنْ خَصَائِصِ الْفِعْلِ الْمُضَارِعِ فَيَحْصُلُ مَعْنَيَانِ :انْتِفَاءُ مَدْلُولِ الْفِعْلِ بِمَادَّتِهِ، وَتَجَدُّدُ الِانْتِفَاءِ بِصِيغَتِهِ" (عاشور، 1984، مج 14، ص 316). من ذلك قول الكاتب: "مازيني لم يقل ذلك اعتباطًا، ولكنه كان يعلم حق العلم أن الرجل الذي يعرف واجباته ويؤديها على وجهها الأكمل سترد إليه حقوقه غير منقوصة دون أن يطالب بها" (محجوب، ص 136). وقوله: "وجوابي هو أن السياسة لم يأتِ

الأوان لنتحدث عنها ما دامت مقدماتها من تعليم وحياة أدبية واجتماعية ناقصة..." (محجوب، ص 137).

فالكاتب في هذا السياق استخدم الفعل المضارع المنفي بلَمْ والتي أحالت زمنه إلى الماضي لتأكيد تحقق نفي الحدث في الزمن الماضي واستمرارية النفي.

جدول (1) يبين استخدام الكاتب للأفعال في مقاله

الأفعال	العدد	النسبة
الماضية	107	%40.1
المضارعة	156	%58.4
الأمر	4	%1.5
المجموع	267	%100

خاتمة:

الأديب مرآة مجتمعه يصوِّر آلامه وآماله. والأديب الجيد غير منكفئ على نفسه ولا منفصل عن بيئته، وإنما هو متفاعل مع قضايا قومه وهموم مجتمعه، ومعبر عن معاناته وتطلعاته.

ومحمد أحمد محجوب جمع بين الفكر والأدب من جهة، والعلم والقانون من جهة أخرى، وحقق نجاحات باهرة في هذه المجالات جميعها. وفي مقاله هذا يبرز محجوب بوصفه مصلحًا اجتماعيًا يسعى لتوعية أبناء وطنه وتنبيههم إلى المخاطر التي تهدد هويتهم وتتربص بكيانهم الجمعي، متخذًا الأسلوب المباشر الصريح، دون مداراة أو تلميح، لضمان إيصال رسالته التوعوية بفعالية.

سلّط الكاتب الضوء على المشكلات الاجتماعية التي عانى منها وطنه، واضعًا الإصلاح غايته الرئيسة، متناولًا المقدمات التي تمكِّن من تحقيق الغايات المرجوة، والوصول إلى المقاصد المنشودة؛ فعُني بالكشف عن مظاهر الضعف والقصور، وبحث عن أسبابها، ونقَّب عن مصادرها، مقدّمًا رؤيته للحلول الممكنة، وطارحًا مقترحاته للنهوض والتقدم.

رأى المحجوب أن النظام القبلي المتجذر في المجتمع السوداني يمثل إحدى العقبات الرئيسة التي تحول دون تحقيق الوحدة الوطنية الحقيقية، وتعرقل بناء دولة حديثة على أسس قومية.

نتائج الدراسة:

– تطرّق المقال إلى جملة من الظواهر السلبية والمشكلات الاجتماعية التي مثّلت عائقًا أمام تحقيق التنمية الوطنية، ووقفت حجر عثرة في طريق تقدم البلاد، وأعاقت سير نهضتها.

– ركز محجوب جهوده على خلق وعي عام يسهم في الارتقاء بالمجتمع، ويمكنه من تحمل مسؤولياته والاضطلاع بدوره في مسيرة الإصلاح والتنمية والتقدم.

– وظَّف الكاتب ثقافته وإلمامه بتاريخ الشعوب التي ناضلت حتى تنسمت عبق الحرية ورفرفت على ربوع بلادها رايات التقدم والتطور لتقديم أمثلة واقعية تقوي حججه، وتعزز مصداقية طرحه، واتخذ ذلك وسيلة من وسائل الإيضاح وسبيلاً من سبل الإقناع.

– سار الكاتب على نهج المحافظين، وعُني بالدقة اللغوية والصياغة الأدبية الرفيعة، فجاءت لغة المقال نقية وخالية من أي مفردات عامية أو تعبيرات ركيكة.

– لم يلهث الكاتب وراء المحسنات البديعية، فظهرت بعض المحسنات بين الفينة والأخرى دونما تكلف، الشيء الذي أضفى على النص تناغمًا صوتيًا واتساقًا معنويًا دون الإخلال بفصاحته أو وضوح منطقه.

– برزت قدرة الكاتب على تنظيم الجمل وبناء تراكيب قوية حقّقت الانسجام بين الفكرة واللغة، وعزّزت من وضوح المعنى وترابط الأفكار.

– أنهى الكاتب مقاله بخاتمة ركّز فيها على النقاط الجوهرية التي تناولها، وقدّم ملخصًا للمُثل العليا التي يأمل بتبنيها لتحقيق الحياة الاجتماعية التي ينشدها لأبناء وطنه. ودعا شرائح المجتمع كافة إلى اتخاذ مواقف فاعلة تسهم في تحقيق الأهداف المأمولة، لتكون هذه النقاط آخر ما يتلقاه القارئ، وبما يضمن ترسيخ النقاط الرئيسة في ذهنه.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- أبو العباس عبد الله بن محمد الأنباري. (1982). ديوان الناشئ الأكبر. مجلة المورد، 11(4)، 27-54.
- أبو منصور الثعالبي. (1401 - 1982). التمثيل والمحاضرة. ط2. بيروت: الدار العربية للكتاب.
- أبو هلال العسكري. (1994). ديوان المعاني. بيروت: دار الكتب العلمية.
- إحسان الأغا. (1997). البحث التربوي عناصره ومناهجه وأدواته. ط2. غزة: الجامعة الإسلامية.
- أحمد شوقي. (2012). الشوقيات. وندسور: مؤسسة هنداوي.
- السيد مرسي أبو ذكري. (1982). المقال ودوره في الأدب المعاصر. الإسكندرية: دار المعارف.
- تمام حسان. (1994). اللغة العربية معناها ومبناها. الدار البيضاء: دار الثقافة.
- جبور عبد النور. (1984). المعجم الأدبي. ط 2. بيروت: دار العلم للملايين.
- سرى طه ياسين. (2020). أربع رسائل من عصر المرابطين من كتاب الثغر الأعلى الأندلسي: دراسة أدبية تحليلية. مجلة الجامعة العراقية، 46(1)، 194 - 216.
- صلاح فضل. (1998). علم الأسلوب: مبادئه وإجراءاته. القاهرة: دار الشروق.
- عامر ابن الطفيل. (1399هـ - 1979م). الديوان. بيروت: دار صادر.
- عبد الرحمن بن حسان الأنصاري. (1971). شعر عبد الرحمن بن حسان الأنصاري. بغداد: مطبعة المعارف.
- عبد القاهر الجرجاني. (1412هـ - 1991م). أسرار البلاغة. القاهرة وجدة: مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة.
- عمر الدسوقي. (2007). نشأة النثر الحديث وتطوره. بيروت: دار الفكر العربي.
- فخري أبو السعود. (1937). أثر المرأة في الأدبين العربي والإنجليزي. مجلة الرسالة (206)، 35-41.
- محمد إبراهيم أبو سليم. (1411هـ - 1991م). أدباء وعلماء ومؤرخون في تاريخ السودان. بيروت: دار الجيل.
- محمد أحمد محجوب. (1970). نحو الغد. الخرطوم: جامعة الخرطوم، قسم التأليف والنشر.
- محمد الطاهر عاشور. (1984). تفسير التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية للنشر.
- محمد بن عيسى الترمذي. (1395هـ - 1975م). سنن الترمذي. ط2. القاهرة: مصطفى البابي الحلبي.
- محمد بن مكرم ابن منظور. (1414هـ - 1994م). لسان العرب. ط 3. بيروت: دار صادر.
- محمد توفيق سعد. (1424هـ - 1994م). الإمام البقاعي ومنهاجه في تأويل بلاغة القرآن. القاهرة: مكتبة وهبة.
- مرتضى الزبيدي. (2004). تاج العروس من جواهر القاموس. ط2. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- يوسف البستاني. (2015). أمثال الشرق والغرب. وندسور: مؤسسة هنداوي.